المقهى عنصرا فنيّا ودلاليّا في فضاء المدينة رواية "وقائع المدينة الغريبة" لـ"عبد الجبار العش" نموذجا

The café is an artistic and semantic element in the city space The novel "The Chronicles of the Strange City" by Abd al-Jabbar al-Ash as a model

د.زياد الحجلاوي* / *Ziad HAJLAOUI*

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة

Hajlaouizied303@gmail.com

تاريخ الإرسال: 02/ 06/ 2023 تاريخ القبول: 06/ 06/ 2023 تاريخ النشر: 2023/06/19

ملخص:

ما انّفك الخطاب الرّوائي يستجيب للتحولات الفنيّة والمضمونيّة لما يتميز به من قدرة على استيعاب مختلف الخطابات الأدبيّة واللاأدبيّة، فضلا عن خاصيّة التّنوّع والتّعدد التّي تتسم بها الرّواية في مستوى أركانها القصصيّة من شخصيّة وحدث ومكان. ولعل ذلك ما أتاح لها أن توظّف فضاءات روائيّة جديدة لعلّ أبرزها المقهى الذّي يعدّ من أكثر الفضاءات توظيفا في الرّواية الحديثة. وهو ما سمح له بأن ينهض بوظائف فنيّة ودلاليّة مهمّة نروم في هذا المقال أن نكشف عنها بالاستناد إلى رواية عبد الجبّار العش وقائع المدينة الغريبة.

الكلمات المفتاحية: المقهى؛ الرّواية؛ الدلالة؛ الروائي؛ السّرد؛ الحكاية؛ الشخصيّة.

Abstract:

The narrative discourse always responds to artistic and content transformations due to its ability to absorb various literary and non-literary discourses, as well as the diversity and multiplicity that characterizes the novel at the level of its narrative pillars of personality, event and place. Perhaps this is what allowed her to employ new fictional spaces, perhaps the most prominent of which is the café, which is one of the most employed spaces in the modern novel. This is what allowed him to perform important technical and semantic functions that we intend in this article to reveal based on Abdul-Jabbar Al-Ash's novel Waqa'at Al-Madina Gharibiya.

*المؤلف المرسل

Key- words: The *cafe; the novel the significance; the novelist; the narration; the story; the personality.*

مقدمة:

يعتبر المكان عنصرا فنيّا مهمّا في الأعمال الأدبيّة الشعريّة منها والنّثريّة. فهو مكوّن قصصيّ لا غنى عنه في السّرد، إذ من خلاله يتشكّل العمل الرّوائي برمّته، وتتأسس معالم البنية القصصيّة. فالمكان في الرّواية "يشكّل أحيانا علّة وجود العمل"[1]. وهو إضافة إلى ذلك العمود الفقري لسائر الأركان القصصيّة الأخرى فهو"قاعدة العمل القصصي والعنصر الفاعل فيه"[2]. ويتّخذ المكان في الرّواية أشكالا ومظاهر مختلفة، إذ يشتمل على فضاءات سرديّة متنوّعة لعلّ من أكثرها تواترا في الأعمال الرّوائيّة المدينة التّي تعدّ من أكثر الفضاءات حضورا في الخطابات الإبداعيّة قديمها وحديثها.

وتبرز أهميّة المدينة في كونها ظاهرة حضارية متجذّرة في القدم ترتبط بوجود الكائن البشري وبحثه عن الاستقرار. فهي قد مثّلت موضوعا رئيسيّا في المدوّنة الإبداعيّة على مرّ العصور والأزمنة، وقد وظّف المدينة في الخطابات الأدبيّة على تنوّعها سردا وشعرا وأقصوصة ومسرحا توظيفا فنيّا مخصوصا، إلى جانب كشفها عن أبعاد دلاليّة وتأويليّة عميقة. فوجودها في النصّ السردي يحتلّ منزلة كبرى، فهي "بمثابة الدّلالة الوالدة في النصّ السّردي"[3]. ومن ثمّة فالمدينة تشكّل مرجعا مهمّا يساهم في أدبيّة الرّواية ويكشف عن قضايا اجتماعيّة وفكريّة وسياسيّة شائكة.

وتزداد أهميّة هذا الفضاء حينما يتضمن في صلبه أمكنة أخرى منها ما هي مفتوحة على غرار البحر والصحراء والسّوق والحديقة، وأخرى مغلقة من قبيل الغرفة والبيت والسّجن وخصوصا فضاء المقهى الّذي شكّل منذ بدايات فنّ الرّواية مكانا بارزا لا سيما أنّه قابل لاحتضان فئات مختلفة من المجتمع سواء الغنيّة منها أو حتّى تلك الطبقات المهمّشة التّي يمثّل المقهى ملجأ ومهربا لها، إذ تتوفّر فيه مختلف أشكال الرّاحة والطمأنينة.

ومن الأمثلة الدّالة على أهميّة المقهى في الرّواية أنّه يُختار أحيانا عنوانا بارزا يسم الأثر ويتصدّر غلافه. ويمكن أن نذكر على سبيل المثال عناوين بعض روايات نجيب محفوظ مثل "الكرنك" و "ميرامار"

أو "خان الخليلي" أو رواية جمال الغيطاني الموسومة بشطح المدينة وكذلك رواية "المقهى الزّجاجي" لمحمّد البساطي. والأمثلة على ذلك كثيرة ممّا يؤكد قيمة فضاء المقهى ودوره في النّسيج القصصي للرّواية.

وعلاوة على ذلك وُظّف المقهى في الرّواية توظيفا فنيّا مخصوصا ممّا يكشف عن دوره القصصي، ذلك أنّه إلى جانب قدرته على احتضان الأحداث الرئيسيّة وإرساء الحبكة القصصيّة، فإنّه يحمل أبعادا دلاليّة مهمّة وهو ما دفع أحدهم إلى القول في شأنه إنّه "يشكّل نسقا مرجعيّا ذا دلالة وخطابا رمزيّا وإيديولوجيّا"[4].

إنّ هذه الأهميّة دفعتنا إلى اصطفاء فضاء المقهى موضوعا لهذا المقال ضمن ندوة "المدينة في الخطاب الأدبي". وقد اخترنا أن نقارب هذا الموضوع إجرائيّا من خلال رواية **وقائع المدينة الغريبة** لعبد الجبّار العشّ أنموذجا. فكيف يشكّل المقهى عنصرا قصصيّا في الرّواية؟ وما هي أشكال حضوره داخل النسيج القصصي؟ وما هي أهمّ الدّلالات التّي يعبّر عنها هذا الفضاء الرّوائي.

1- المقهى مكوّنا إنشائيّا:

يكتسي المقهى خصوصيّة فنيّة في رواية **وقائع المدينة الغريبة** لعبد الجبار العشّ،فهو الفضاء الذي تنطلق منه أطوار الحكاية، إذ يستّهلّ السّرد بحدث ذهاب الشخصيّة البطلة صالح العوّادجي إلى المقهى، وشروعه في قراءة خبر انتحار جماعي لمجموعة من المواطنين يقول الرّاوي:" ابتدأ كلّ شيء، بعد يومين فقط من حدوث الكارثة، كنت في المقهى أُعيد قراءة ما كُتب في الصحيفة المسائيّة، حول الانتحار الجماعي الّذي ذهب ضحيّته اثنان وعشرون مواطنا"[5]. ولئن يبدو هذا الحدث عاديّا ومألوفا فإنّ المسار السّردي سرعان ما يتغيّر إثر حصول حدث خارق وعجائبي ساهم في تأزّم الأوضاع وشكّل فعلا سرديّا متحكّما في مسار تطوّر الحكاية. ونعني بذلك حدث التصاق كرسي المقهى بالشخصيّة المذكورة، وعدم قدرته على الوقوف والحركة. ويتجلّى ذلك في قول الرّاوي: "وبمجرّد أن أتمّ كتابة بضع كلمات طوى الورقة ووضعها في جيب سترته. شرع يأتي بحركات غريبة. فقد لاح لي أنّه يحاول تغيير موضع قدميه. لكن دون جدوى، كانت ركبتاه تنفرجان ثمّ يضمّها بحركة متشنّجة"[6].

وتبعا لذلك يعدّ المقهى عنصرا فنيّا مهمّا، فهو قد مثّل الفضاء الرئيسي الذي من خلاله انبثقت معالم الرّواية وليس مجرّد مكان حاضن للأحداث، بل إنّه ساهم مساهمة بالغة الأثر في تشكيل الحبكة

القصصيّة. فحينما نتأمّل في متن الرّواية بإمكاننا أن نلاحظ دوره في تشكيل عالمها السّردي. فقد ارتبطت به جلّ اللّحظات السرديّة الأخرى، كما نلفي مشاركة أغلب الشخصيّات الرّوائيّة في هذا الحدث واجتماعها في هذا المكان المذكور، إذ أضحى المقهى فضاء مفعما بالحركة والفعل كأن تُساعد بعض الشخصيّات البطل على التّخلّص من محنته مثل الحدّاد والطبيب والنّادل وصاحب المقهى دحدوح،أو أن تحصل في المكان أحداث عجائبيّة وخارجة عن المألوف من قبيل النّوم أو ممارسة الجنس وغيرها من الأفعال الأخرى التّي مارسها صالح العوادجي أثناء زيارة العائلة له بعد عجزه عن الحركة والقيام بمهامه.وهكذا تظهر معالم هذا المكان وتؤشر إلى أهمّيته في البناء الرّوائي.

وتتّسع أهميّة المقهى لينكشف دوره في تأزّم الأحداث وتعقدّ الأجواء القصصيّة. فبفضل الوقائع الدّائرة فيه تناسلت مختلف عناصر الحكاية. ومن أمثلة ذلك أنّ داء الالتصاق الذّي حصل للبطل في المقهى قد انتشر ليشمل المدينة بأكملها لا سيما روّاد المقاهي الأخرى. ويتجلّى ذلك في قول الرّاوي: "شيء لا يصدّق ...لقد بدأت منذ قليل، تظهر نفس الحالات في عدّة مقاه قرب المدينة العتيقة، لقد كنت هناك، قبل أن أستقلّ الحافلة"[7]، وقوله كذلك: "الدّاء يستشري كطوفان يجتاح المدينة، في الإدارات، في الشّوارع، في المقاهي، في كلّ مكان ..الطّرقات والأرصفة خربت بالكامل، آلاف الخنادق والمجاري المحفورة لربط المراحيض بالمواسير، أكوام التّراب والآجر والحجارة والملاط والأخشاب تسدّ الأزقّة والمعابر..."[8].

وعلى هذا النّحو نتبيّن أنّ المقهى مثّل عنصرا بنائيّا مهمّا، فهو الذّي ساهم في تطوّر الأحداث وتنامي الحبكة القصصيّة، إذ تفرّعت عن هذا الفضاء لحظات سرديّة على غاية من التأزّم والتعقيد. واستحال وجوده عنصرا إنشائيّا لا غنى عنه في الرّواية، ولعلّ ذلك ما يؤكد قول شارل غريفل(Grivel CHarles) حول فاعليّة الأمكنة في العمل الرّوائي، إذ يرى أنّه :"لا يوجد مكان غير منخرط في الأحداث"[9].

وإضافة إلى ذلك نلاحظ في طوايا السّرد دور المقهى وتأثيره في فضاء المدينة عموما، فهو قد شكّل مركز اهتمام جلّ سكّانها وكشف عن مظاهر الحياة فيها، ويظهر ذلك في تصوير الرّاوي لحركة

الشخصيّات وتفاعلاتها مع أجواء الفضاء وما يجري فيه من وقائع. فتجلّت لنا أشكال مختلفة من العلاقات السرديّة بين الفواعل، فبفضل وجود المقهى نقطة انطلاق السّرد واحتوائه للفاجعة المتمثّلة في التصاق الكرسي بالشخصيّة البطلة، أمكننا أن نتعرّف على فئات مختلفة من المجتمع على غرار الفنّان والعامل والطبيب والشرطيّ والنّادل وغيرها من الأطراف المكوّنة لفضاء المدينة.

والحق أنّ هذه الوظيفة من أسمى الوظائف التّي يقوم فضاء المقهى بتصويرها وإبرازها. ومن أمثلة هذه العلاقات ما حصل من علاقة تعاون وانسجام بين صالح العوادجي ذلك الفنّان والمثقف المهزوم بالنّادل المعروف بساطته وعفويته وحبّه للعمل والإخلاص إلى صاحب المقهى. كما ظهرت لنا صور أخرى من العلاقات نذكر من بينها علاقة المودّة والاعتراف التّي جمعت بين شخصيّة نذير وصالح العوادجي. ومهما يكن من أمر، فإنّه من الواضح أنّ المقهى له دورا كبيرا في توليد هذه العلاقات وإظهارها للمتلقي، ولعلّ ذلك ممّا يعزّز مكانته ومنزلته في تشكيل العالم التّخييلي للرّواية، ويؤكد الرأي القائل: "إنّ المكان لا يمكن أن يدرك بمعزل عن تفاعلاته مع الشّخصيّات والأحداث وغيرها من عناصر البنية القصصيّة"[10].

يمكن القول إذن من خلال ما تقدّم إنّ فضاء المقهى يمثّل أهمّ الفضاءات السرديّة تأثيرا في النسيج السّردي، وأكثرها فعلا في الشخصيّات، فقد بسط سلطانه على مجمل اللّحظات السّرديّة واستحال مكوّنا إنشائيّا رئيسيّا من مكوّنات الرّواية، كما ألفينا هذا الفضاء كاشفا عن مختلف العلاقات الحاصلة بين الشّخصيّات. غير أنّ منزلة فضاء المقهى من الرّواية لا تتجسّد في الجانب الفنّي فحسب، بل إنّ دوه الدّلالي لا يخلو من أهميّة. فكيف ساهم المقهى في إظهار بعض القضايا؟ وماهي أهمّ الدّلالات التّي كشف عنها؟ وإلى أي مدى صوّر فضاء المقهى خصوصيّة المدينة؟

2- المقهى فضاء دلاليّا:

إنّ الفضاء في الرّواية عموما ينهض بوظائف دلاليّة متنوّعة، فهو إضافة إلى وظيفته الإنشائيّة يضطلع بدور مهمّ في توليد الدّلالة والكشف عن جملة من قضايا الواقع والوجود، وهو ما يؤكده عدد من النّقاد على غرار هنري ميتران(Henri Mitterand)[11]. وتزداد هذه الدّلالات تجليّا حينما يتعلّق الأمر بفضاء المقهى، فهو من أكثر الفضاءات إبرازا لقضايا المدينة.

يتضمّن المقهى في رواية **وقائع المدينة الغريبة** رموزا ودلالات شتّى، وهي تكشف أساسا عن التّحوّلات الّتي تشهدها المدينة الحديثة، فالمتتبّع للوقائع الدّائرة في المقهى يتبيّن الصلة المتينة بينها والأوضاع الاجتماعيّة والسيّاسيّة والثّقافيّة الدّائرة في المجتمع. فهذا الفضاء الذي يعدّ من أبرز الأمكنة في المدينة وأكثرها استيعابا لسكّانها قد استحال مرآة عاكسة لمختلف القضايا والإشكاليات الشّائكة والمتنوّعة التّي تعجّ بها المدينة.

فمتى ركّزنا النّظر أدركنا أنّ فضاء المقهى رغم ضيقه ومحدوديته فإنّه استطاع أن يحتضن داخله أحداثا مختلفة. وتبعا لذلك فقد قام المقهى بوظائف دلالية مختلفة، ومن أهمّها أنّه صوّر مظاهر التّحوّلات الحاصلة في المقهى الحديث. فما هي مظاهر ذلك؟

2- مظاهر تحوّلات المقهى الحديث:

إنّ النّاظر في المدوّنة المدروسة يلاحظ أنّها تحتفي بمجمل التّغييرات التّي تطال المقاهي في المدن الحديثة. فلم يعد هذا الفضاء يقوم بنفس الأدوار التّي عهدناها، فهو يمثّل مكانا لطرد الرّتابة والملل ويوفّر في مقابل ذلك الرّاحة والطّمأنينة، بيد أنّ المقهى في رواية **وقائع المدينة الغريبة** مقهى غير مألوف، إذ يتميّز بغرابته وعجائبيته، ويظهر ذلك في احتضانه حدثا خارقا قلّما يحدث في مثل هذه الأمكنة، ونعني بذلك حدث التصاق الكرسي بمؤخرة البطل صالح العوادجي، يقول السّارد متحدّثا عن هذه الشخصيّة: "نهضت واتّجهت نحوه لأفهم حقيقة الأمر ودون أن يمدّ يده ليصافحني صرخ في وجهي، أُنظر أنا لا أستطيع الوقوف"[12] ويقول كذلك: "كنّا نعتقد في البدء، أنّه أُصيب بشلل فجئي، أو بحالة خمول عضلي مؤقت. لكن سرعان ما اتّضح، وأمام دهشة الجميع، أنّ مؤخرته قد التصقت تماما بالكرسي الّذي استعصت علينا زحزحته، كما استحال علينا تحريك قدميه"[13]

لا شكّ في أنّ هذا الحدث وغيره من الوقائع الأخرى العجيبة التّي دارت في المقهى تؤكد التّحولات التّي تعرفها المدينة، فالغرابة والشذوذ شملا بدورهما فضاء المقهى ممّا جعله يحظى بمكانة بارزة لدى جميع الفئات، وإذ ذاك فقد أقام المقهى علاقة اتّصال بين الدّاخل والخارج. وفي هذا السّياق يقول السّارد: "وجدنا المدينة كلّها أمام المقهى"[14].

وفضلا عن ذلك، تجلّى لنا من خلال وصف السّارد للمقهى أنّه أضحى مكانا لتصريف الممارسات السلبيّة والتعبير عن مختلف المشاهد الطارئة التّي تنتشر في المقاهي الحديثة على غرار تصوير حالات التّهميش والانحطاط الأخلاقي والقيمي التّي نجد صدى لها في الواقع المعيش[15].

2-2- المقهى والدّلالات الفكريّة:

يكشف فضاء المقهى في رواية **وقائع المدينة الغريبة** عن معان فكريّة متعدّدة، فهذا الفضاء رغم ضيقه وانغلاقه، فإنّه قد حمل في طيّاته أبعادا وجوديّة تتصل بالذّات الإنسانيّة وموقفها من الحياة والوجود، إذ صوّر لنا المقهى من خلال داء الالتصاق الّذي أُصيب به صالح العوادجي الفرد وهو مسلوب الإرادة، عاجز عن الفعل والتقدّم، عجز سببه استبداد السّلطة وفسادها وتضييق الحريّات على الأفراد، ويزداد هذا المعنى وضوحا حينما يتفشّى داء الالتصاق في أرجاء المدينة ويشمل مختلف شرائح المجتمع وشتّى الأمكنة. يقول الرّاوي: "الدّاء يستشري كطوفان يجتاح المدينة في الإدارات في الشّوارع في المقاهي، في كلّ مكان ...الطرقات والأرصفة خرّبت بالكامل"[16]. ممّا يعني أنّ المقهى يجسّد صورة مصغّرة عمّا يعتمل في نفوس الأهالي، وما تعانيه من اضطرابات نفسيّة وفكريّة.

ومن ثمّة فإنّ المقهى مثّل إطارا أساسيّا للحكاية وعاملا متحكما في السّرد، فمن خلاله اتّضحت معالم القصّة وتجلّت صورة المدينة في مختلف أشكالها.وإلىذلك فإنّ المقهى يكتسي بعدا رمزيّا، ففضلا عن وظيفته الإنشائيّة وأهميتها في تأثيث السّرد ساهم في توليد المعنى وخلق الدّلالة، وتصوير الأوضاع السّائدة في المدينة.

فمتى ركّزنا النّظر لاحظنا أنّ المقهى قد ساهم في إبراز الأوضاع النّفسانيّة لسكان المدينة على غرار إثبات قلق المثقف وهزيمته وتأرجحه بين الفعل واللاّفعل. فمن خلال بعض الأفعال التّي أتاها صالح العوّادجي نتبيّن مدى اضطراب الذّات البشريّة وشعورها بالعبثيّة والفوضى. وقد تجلّى ذلك في قيام الشخصيّة بممارسات منافية للأخلاق والذّوق العام من قبيل ممارسة الجنس مع زوجته داخل المقهى أو الاستحمام أو التبوّل أو غيرها من السلوكات الأخرى.

ونعثر في تلافيف الرّواية على تأثير هذه الأحداث في باقي أرجاء المدينة، وهو ما يكشف عمق التّحوّلات الحاصلة في المدينة التّونسيّة أنذاك، وتبعا لذلك لاحظنا تأكيدا من السّارد على شيوع الظّواهر

الخارقة التّي حصلت في المقهى وانتشارها في أرجاء المدينة في مواضع مختلفة من الرّواية. نحو قوله: "هذه امرأة في عسل أيّامها شقراء القامة تتخبّط وسط مجموعة من الرّجال خلتها تقاوم وإذا بي أكتشف أنّها لا تستطيع تحريك قدميها"[17]، وقوله أيضا في موضع آخر: "الوضع في المدينة، كان يسير من سيء إلى أسوأ"[18]

وإلى ذلك، لم يكن المقهى مجرّد فضاء لاحتساء المشروبات والابتعاد عن رتابة الحياة اليوميّة، بل تحوّل بفعل ما تمخّض عنه من دلالات إلى رمز مكانيّ مهمّ بإمكان الّذات الرّاوية أن تنشئ من خلاله خطابها الرّوائي. كما ندرك حينئذ أنّ المقهى قد بات عنصرا فاعلا في فضاء المدينة. فمن خلاله تحوّلت جلّ الأوضاع في المدينة وانعكست أجواؤه على باقي مكوّناتها. وما أكثر ما يساهم المقهى في عصرنا الرّاهن في تأجيج الجماهير وتغيير أوضاع المدينة بأكملها.

وإلى جانب الدّلالات الفكريّة التّي تُستشف من فضاء المقهى نلفي حضورا مخصوصا للجانب السياسي في تلافيف الرّواية.

2-3- المقهى فضاء لنقد الأوضاع السّياسيّة في المدينة:

لا تخلو المدّوّنة المعنيّة بالدّرس من الإشارة إلى السياسة، فهي حاضرة في مناسبات مختلفة، عبّرت عنها عناصر سرديّة متعدّدة من قبيل الوقائع الدائرة أو بعض الشخصيّات ذات الانتماء السّياسي أو خصوصا الأمكنة الحاضنة للأحداث السرديّة. وشكّل المقهى عنصرا فنيّا دالاّ على خراب الوضع السّياسي وفساد أهله.

فمتى دققنا النّظر أدركنا أنّ كرسي المقهى الملتصق بصالح العوادجي إنّما هو مظهر من مظاهر السّخريّة من الوضع السّائد في تلك الفترة، إذ يرمز ذلك إلى تشبث الحكّام بالسّلطة والسّيادة، وهو ما يجلوه بقاء البطل ملتصقا بالمقهى مدّة طويلة. وتبعا لذلك ينفتح فضاء المقهى على وضعية المدينة بأكملها، وليس أدلّ على ذلك أكثر من حادثة التصاق رئيس البلدية بالكرسي وهو الّذي تشبث بالرئاسة لثلاث دورات متتالية. فالمقهى حينئذ بؤرة دلاليّة وفضاء مكانيّ غنيّ بالمعنى والدّلالة.

وإلى جانب ذلك يكشف المرحاض الذّي شكّل في الرّواية أهمّ عنصر من عناصر المقهى من خلال تداعياته النّفسيّة والجماليّة على الفضاء والشّخصيّات عامّة، جملة من الدّلالات السّياسيّة لعلّ أبرزها الفساد والقبح الّذي أصاب أهل السّياسة وأصحاب القرار خصوصا أنّ المدينة أُمتلئت بالمراحيض يقول الرّاوي: "المراحيض تغزو المدينة. الصّراخ والعويل وحالات الإغماء في كلّ مكان"[19]، ويقول كذلك: "المراحيض، المراحيض، لا حديث سوى عن المراحيض، والأخبار التّي تسري كحريق"[20].

وممّا يؤكد دور المقهى في نقد أهل السّياسة أنّه استحال فضاء لبناء المراحيض والنّوم في إشارة خفيّة إلى الفوضى التّي يتسّم بها السياسيون وحكّام المدينة، بل إنّنا نذهب إلى الاعتقاد في كون الذّات المتلّفظة تقصد من خلال ذلك جلّ المدن العربيّة وما تتميّز به من انتشار الظلم والقهر الذّي يمارسونه أصحاب السّلطة والحكم.

لاشكّ في أنّ هذه المشاهد التّي مثّل المقهى نقطة انطلاق لها تكشف عن خصوصيّة المدينة التّونسيّة وما تتميّز به من تحوّلات عميقة في فترة من تاريخ البلاد. فهي قد تجلّت مدينة غير مألوفة وغريبة لما يعتريها من فساد يتجلّى في المجال السّياسي وغيره من المجالات الأخرى التّي تنسرب داخل باقي الفضاءات المكوّنة للرّواية.

خاتمة:

صرفنا عنايتنا في هذا المقال إلى البحث في فضاء مخصوص من المدينة يتمثّل في المقهى باعتباره من أكثر العناصر المكانيّة الموظّفة في الرّواية. وقد استندنا إلى مدوّنة تونسيّة للرّوائي عبد الجبّار العشّ موسومة **بوقائع المدينة الغريبة** لما لا حظنا فيها من تركيب متفرّد للمقهى سواء في ما يتعلّق بوظيفته الإنشائيّة أو كذلك في ما يعبّر عنه من قضايا ودلالات مهمّة.

وتبيّنا من خلال النّظر في البنية الإنشائيّة المكوّنة للرّواية أنّ المقهى يشكّل مكانا رئيسيّا حاضنا لمجمل عناصر الحكاية. فمن خلاله توالدت مختلف الأحداث، وتأزّمت الأوضاع القصصيّة، فلم يكن المقهى في المدونة المدروسة مجرّد إطار حاضن للأحداث بل إنّه بسط سلطانه على الرّواية حدّ التّحكم في عناصرها من أحداث وشخصيّات وأمكنة، ممّا حوّله إلى مكان مركزي تنتفي بزواله الحبكة القصصيّة وتنعدم فاعليّة الشخصيّات وأدوارها السّرديّة.

وفضلا عن ذلك، شكّل المقهى في رواية **وقائع المدينة الغريبة** عنصرا فاعلا في الكشف عن مظاهر الحياة في المدينة، إذ تجلّت من خلاله قضايا فكريّة وسياسيّة مهمّة. فهو قد عبّر عن معاناة الإنسان وقلقه من الأوضاع السّائدة، فداء الالتصاق الّذي حصل في المقهى، ومن ثمّ شمل أرجاء المدينة ما هو إلاّ تعبير عن استسلام عامّة النّاس وخضوعهم لإرادة الخوف والعجز الفكري والمادّي وتراجع منزلة الفرد داخل المجتمع.

وإلى جانب ذلك انتهينا من خلال فحص الدّلالات العميقة للمقهى إلى استكناه مواطن السّخريّة والنّقد الذّي بإمكان المقهى أن ينهض به، فقد تجلّى لنا من خلال الأجواء الحاصلة في هذا الفضاء فساد السّلطة الحاكمة وتسلّطها وممارساتها الظالمة على الأفراد. وقد ساهم المقهى في إبرازها من خلال الصورة السلبيّة التّي بدا عليها هذا الفضاء السّردي.

وفي الجملة، يعتبر فضاء المقهى عنصرا مكانيّا مهمّا من فضاء المدينة، فهو من أكثر الفضاءات تصويرا لأجوائها وانعكاسا لتحوّلاتها المختلفة، كما يعدّ المقهى المكان المرجعي الذّي يساهم في تطوير بنية الرّواية وتعميق دلالاتها، فضلا عن دوره في إضفاء جمالية مخصوصة على بنيتها السرديّة. ولذلك لا مناص من القول إنّ المدينة في الخطاب الأدبي تزداد منزلة متى عوّلت على المقهى فضاء سرديّا.

الهوامش:

1-Roland Bourneuf, Réal Ouellet, L'univers du roman, Editions, France, 1989, p114.

2- الصّادق قسوّمة، طرائق تحليل القصّة، دار الجنوب للنّشر، تونس، 2000، ص206.

3- مصطفى الكيلاني، الرّواية والتّأويل، سرديّة المعنى في الرّواية العربيّة، دار أزمنة للنّشر والتوّزيع، ط1، 2009، ص51.

4- حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي، الفضاء، الزّمن، الشخصيّة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، 1990، ط1، ص95.

5- عبد الجبّار العش، وقائع المدينة الغريبة، ص5، سوجيك صفاقس، 2000، ص5.

6- نفسه.

7- عبد الجبّار العشّ، وقائع المدينة الغريبة، ص106

[8]- نفسه، ص ص 115، 116

[9]-Charles Grivel, Production du L'intérêt Romenesque, Paris, Mouton, 1973, p107.

[10]- عبد الوهاب زغدان، المكان في رسالة الغفران، أشكاله ووظائفه، دار صامد للنّشر والتّوزيع، صفاقس، ط1، 1994، ص14.

[11]- يشير هنري ميتران في إطار حديثه عن المكان أنّ له دورا مهما في الكشف عن القيم الرّمزيّة والإيديولوجيّة.
Henri Mitterand, Le discours du roman, Edition, Puf, France, 1986, p194.

[12]- عبد الجبّار العش، وقائع المدينة الغريبة، ص5.

[13]- المصدر نفسه، ص6.

[14]-المصدر نفسه، ص 7.

[15]- يذهب حسن بحراوي في إطار حديثه عن صورة المقهى في الرّواية إلى كونه يجسّم لحظات العطالة الفكريّة وفضاء لممارسة مختلف مظاهر الانحراف وتناقل الشّائعات الرخيصة. ويؤكد على دور هذه العوامل في إكساب المقهى طابعا سلبيّا مشيرا إلى كون هذه الدّلالات متأصلة في الوجود، فهي تندرج ضمن البنية الرئيسيّة للمكان. حسن بحراوي، **بنية الشكل الرّوائي**، ص93.

[16]- عبد الجبّار العش، **وقائع المدينة الغريبة** ص 115.

[17]- المصدر نفسه، ص 107.

[18]- المصدر نفسه، ص 152.

[19]- المصدر نفسه، ص107.

[20]- المصدر نفسه، ص 112.

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر:

عبد الجبّار العش، **وقائع المدينة الغريبة**، سوجيك صفاقس، 2000

المراجع:

1- مراجع باللّغة العربيّة:

1. حسن بحراوي، **بنية الشكل الرّوائي، الفضاء، الزّمن، الشخصيّة**، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، 1990، ط1.

2. عبد الوهاب زغدان،**المكان في رسالة الغفران، أشكاله ووظائفه**، دار صامد للنّشر والتّوزيع، صفاقس، ط1، 1994.

3. مصطفى الكيلاني، **الرّواية والتّأويل، سرديّة المعنى في الرّواية العربيّة**، دار أزمنة للنّشر والتّوزيع، ط1، 2009.

4. الصّادق قسوّمة، **طرائق تحليل القصّة**، دار الجنوب للنّشر، تونس، 2000.

2- مراجع باللّغة الفرنسيّة:

1. *-Charles Grivel, Production du L'intérêt Romanesque, Paris, Mouton, 1973.*

2. -Henri Mitterand, Le discours du roman, Edition, Puf, France, 1986.

3. oland Bourneuf, Réal Ouellet, L'univers du roman, créés Ed, France, 1989.